تعلن ثورة النساء في «بيت الدمية» على المسرح القومي

بوسي: الأدوار النسائية في أعمال نور الشريف لا تناسبني.. والدور ينادي صاحبه!

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من عمر صادق:

بعد مسرحية «عيلاد الميلاد» التي قدمتها على مسرح الهناجر بالأوبرا في العام الماضي تواصل الفنانة بوسي تألقها من خلال عمل عالمي بعنوان «بيت الدمية» على المسرح القومي والتي يرتفع الستار عنها الليلة وذلك بمناسبة الاحتفال بمئوية الكاتب النرويجي هنريك ابسن.

بدأت الاحتفالية بالقاهرة من خلال تقديم أعمال هذا الكاتب حيث يعرض له حاليا مسرحية «بيرجنت» تحت سفح أهرامات الجيزة على مسرح أعد خصيصاً لاستقبال العرض أمام أبي الهول، ومسرحية أخرى بعنوان «الأشباح» التي تتناول علاقة الشرق المتحفظ بالغرب المتحرر.

بوسي قدمت للمسرح العالمي 4 أعمال وتقول عن تجربتها في «بيت الدمية» ان هذا العرض أحاول فيه اعادة النظر في العلاقة بين المسرح والمتفرج وترى أن النص يلغي أحادية الفنان ويحرر المتفرج من علاقته السلبية وتدفعه للمشاركة الايجابية وتنهض على لقاء الممثل الحي بالمتفرج وجها لوجه، والعمل من وجهة نظري مغاير ومختلف عن السائد والهدف ان نصيغ لغة مشتركة بين علاقة الرجل والمرأة داخل المجتمع و«بيت الدمية» نموذج حي لهذه العلاقة.

وتضيف: بالنسبة لي أنا أسعى لارساء القيم الجمالية في العرض وهو شغلي الشاغل ويشكل هاجسي الدائم وبخاصة أننا في حاجة الى تطوير علاقتنا الاجتماعية في ظل المفاهيم الدخيلة على مجتمعنا والتي غيرت من معاملة الرجل للمرأة والعكس وحولت دفة العلاقة الى مخاطرة كبيرة.

قبل بدء العرض بساعتين وحالة التركيز الشديدة التي بدت عليها بوسي كان اللقاء.

■ سألتها «بيت الدمية» ناقشت قضايا أوروبية قديمة في الزمن الذي عاش فيه ابسن، كيف ترين ضرورة تقديمها الآن؟

■ **قضايا الانسان واحدة لا تنفصل وهي محور هذا الاهتمام، لأن ما يصيب الرجل الأوروبي في مجتمعه لابد أن يتأثر به الرجل الشرقي فنحن نعيش في عالم واحد والانسان هو الانسان في كل زمان ومكان مهما اختلفت عاداته وتقاليده ومن هنا أرى ضرورة عرض أعمال هذا الكاتب لأنها حية ولا تموت ولا تسقط بالتقادم.**

■ ولكن مسرحنا المصري يشهد حاليا نهضة ولكن أغلب نصوصه أجنبية فلماذا؟

■ **التنوع الثقافي مطلوب لنتواصل حضاريا ولا أرى مشكلة في الاقتباس من المسرح العالمي مثلما تستعين مسارح باريس مثلا بأعمال أديبنا الراحل توفيق الحكيم.**

■ الى أي مدى كان هنريك ابسن مهموما بقضاياه الاجتماعية وعلى رأسها ثورة تحرير المرأة؟

■ **ابسن لم يكن فقط مهموما بقضاياه الاجتماعية ولكنه ايضا مهموم بتحليل الشخصية والصراع الدرامي داخل الأحداث التي تشكل حلقة مهمة في تطوير الرؤية الابداعية بشكل عام وأعتقد أن تقديم أعمال ابسن حاليا أكبر تقدير لذكراه، و«بيت الدمية» من أهم أعمال هذا الكاتب الكبير لأنها ترسم صورة للمجتمع الانساني بصفة خاصة.**

■ هل يقبل جمهورنا على الأعمال المسرحية العالمية؟

■ **بالتأكيد فمازال المثقفون موجودون ويشكلون رافدا مهما في الحركة المسرحية الى جانب الجمهور العادي الذي يعشق الأعمال المحترمة والبعيدة عن الاسفاف.**

■ بعيدا عن هموم ابسن، وتحليله لشخصياته، لماذا طال ابتعادك عن مسرح الدولة بحيث لم تقدمين له سوى 4 أعمال فقط؟

■ **كل ما عرض عليَ من قبل لم يعجبني ومن ناحيتي فأنا لا أتجاهل مسرح الدولة واعتز به جدا، ولكن في الوقت نفسه لا أستطيع تقديم عمل لا أقتنع به لأن هذا يضر بمشواري ولأن مسرح الدولة يلقي على عاتقي مسؤولية الاضافة الى تاريخي وليس الانتقاص منه، ولذلك اشترطت وجود النص الجيد الذي أستطيع من خلاله أن أواصل التألق والنجاح وامتاع جمهوري، ولكن اذا لم يكن هناك نصا جيدا فما الذي يجبرني على العمل فيه.**

■ قدمت للمسرح الخاص 11 مسرحية ولمسرح الدولة 4 فقط، كيف ترين الفارق؟

■ **بالتأكيد من الصعب تقديم هذه الأعمال الجادة التي يقوم بتقديم مسرح الدولة في المسرح الخاص، وأنا لا أرفض المسرح الخاص وأعمالي فيه كانت ناجحة بشهادة الجميع.**

■ غيابك عن الشاشة الصغيرة والسينما في الآونة الأخيرة بماذا نفسره؟

■ **ليس كسلا مني، لأن أمنية أي فنان أن يظل عطاؤه بلا حدود ولكن مشكلتي هو التأثير الأول للنص أثناء القراءة هل يعجبني ككل أم لا؟ وهل تثيرني الشخصية؟ وبعد ذلك تأتي العناصر الأخرى مثل الاخراج والتصوير وفريق العمل الذي يشاركني بطولة هذا العمل فأنا أشعر بالعمل الفني بوصفي قارئة ومتلقية ومشاهدة في الأساس ثم يأتي بعد ذلك دوري كفنانة.**

■ بعد فيلم «العاشقان» مع نور الشريف توقف نشاطك السينمائي؟

■ **أنا بعيدة عن المشهد السينمائي الحالي لأنني لا أجد فيه العمل الذي يناسبني ويصلح أن أؤديه، والسينما تحديدا لا يجوز التنازل فيها، لذلك أنا مضطرة لانتظار مشروعات نجهز لها أنا ونور.**

■ مسلسلات نور الشريف دائما ما تثير الجدل وتحقق نجاحا جماهيريا كبيرا، فلماذا لا تشاركينه هذه النجاحات؟

■ **الأدوار النسائية في أعمال نور لا تلائمني وأنا مؤمنة بان الدور ينادي صاحبه، وأستمتع بالعمل مع نور وعندما يأتي الدور أتصور أنه أول من سيرشحني له.**

■ لكنكما شكلتما ثنائيا ناجحا في السينما، فلماذا لا يتكرر في التليفزيون؟

■ **أنا لي رأي في موضوع الثنائيات وأرى أيضا آليات العصر لا تصلح فيه الثنائيات وخاصة بعد تراجع الانتاج السينمائي وكذلك في المسرح وكثرة الأعمال التليفزيونية هي السبب لأن طبيعة الدراما التليفزيونية لا تقبل الثنائيات ولا أعتقد ان تعود مرة أخرى.**

■ البعض يرى أن نور الشريف منتشر أكثر وأنشط فنيا، كيف ترين المقارنة؟

■ **أنا لا أحب المقارنة، وكثيرا ما تبادلنا الأدوار فقد مرت عليَ فترة كنت أشارك في أكثر من عمل في وقت واحد في حين كان نور يقدم أعمالا قليلة والعكس يحدث أيضا، والأمر يتعلق في النهاية بالأعمال التي تعرض على كل منا ومدى ما يناسبها لنا.**

■ شائعات كثيرة طالت بوسي فكيف تتعاملين معها؟

■ **الشائعات في الوسط الفني مادة يومية وغذاء صحي لأصحاب النفوس الضعيفة يتغذون عليها وكنت أهتم كثيرا في بداية مشواري بنفيها، ولكنها زادت عن حدها، واضطر حاليا التعامل معها بالتجاهل وأدير لها ظهري.**

■ وأطرف شائعة أثارت سخريتك؟

■ **عمليات شد الوجه التي قيل أنني أجريها، وأنا بطبعي أكره هذه العملية لأنني أعرف كيف أحافظ على رشاقتي ببعض الرياضات الخفيفة التي أمارسها كل يوم ولست في حاجة الى اجراء أي عملية مهما كانت.**

بوسي

د. مدحت العدل: لم يعترض على مسلسل «العندليب» سوى محمد شبانة:

تصاعد الخلاف بين ورثة عبدالحليم وشركة العدل غروب

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من محمد عاطف:

تصاعدت الخلافات بين ورثة الفنان الراحل عبدالحليم حافظ وبين شركة العدل غروب بسبب مسلسل «العندليب» الذي عرض طوال شهر رمضان.

قام محمد شبانة ابن شقيقة عبدالحليم حافظ برفع دعوى قضائية ضد الشركة وضد الفنان الشاب شادي شامل الذي جسد شخصية عبدالحليم حافظ في حلقات المسلسل، وذلك لعدم موافقة شبانة على ترشيح شادي لأنه غير مقتنع به.

د. مدحت العدل الكاتب والسيناريست الذي كتب سيناريو وحوار المسلسل وانتجته شركته فجر عدة مفاجآت للرد على الأزمة المثارة بينه وبين ورثة عبدالحليم.

قال د. مدحت العدل: شركة العدل سارت في الأمور بالشكل الصحيح، وحصلنا على موافقات الورثة على السيناريو، ولدينا أوراق من كل الورثة فيما عدا محمد شبانة، والمفاجأة التي أعلنها ان محمد شبانة حصل على نصيبه المادي بشيك في الأول من ايلول (سبتمبر) الماضي، وقام في اليوم التالي باقامة الدعوى القضائية ضدنا، فلماذا حصل على الشيك طالما أنه معترض على المسلسل!

أضاف: ثانيا لماذا اتفق معنا على كل شيء بالمسلسل وخاصة الجانب المادي؟!

وماذا يقول في المستندات الخاصة بموافقة كبار ورثة عبدالحليم حافظ على المسلسل وهو أصغر عضو بينهم؟!

لقطة من مسلسل «العندليب»

أشار إلى مفاجأة أخرى يقول عنها د. مدحت العدل: أقمنا حفلا كبيرا بمناسبة نجاح المسلسل في منزل عبدالحليم حافظ أمام حديقة الأسماك بالزمالك ومعنا الورثة كلهم للتأكيد على موافقة الورثة على المسلسل.

وذكر د. مدحت أن بعض المشاهد من المسلسل تم تصويرها في منزل محمد شبانة نفسه لأنه يحتوي على أثاث عبدالحليم حافظ الأصلي وقمنا بتقليده في مشاهد أخرى لأننا لم نكن نعرف شكله حتى توجد المصداقية في كل شيء، فلماذا لم يعترض شبانة على التصوير داخل منزله وهو يعلم أن بطل العمل «شادي شامل» الذي اعترض عليه فجأة!

الأمور كلها كانت تسير بشكل طبيعي جدا ثم تغيرت بلا سبب مفهوم.

وعن عدم الجلوس سويا والوصول الى صيغة للتفاهم قال: بذلنا في الشركة كافة المحاولات حتى نفهم السبب الحقيقي وراء اعتراض محمد شبانة خاصة كما قلت انني حصلت مع اشقائي بالشركة على موافقات مكتوبة من الورثة الموجودين حاليا، والجميع أبدى اعجابه بالحلقات وأنها جاءت حقيقية في معظم تفاصيلها، ووافقوا على تدخلي في بعض الأحداث لأنني لا أكتب فيلما تسجيليا بل روائيا ويحق لي التدخل بما لا يخل بمضمون العمل، وفعلت ذلك مثلا في واقعة أول حالة نزيف تعرض لها عبدالحليم أنا كتبتها في حفل غنائي له، والحقيقة كانت في منزله.

عن رفض الاعلامي وجدي الحكيم للمسلسل واعتراضه على ما جاء به باعتباره من المقربين للفنان الراحل العندليب رد د. مدحت العدل قائلا: اعتمدت في المادة الأساسية لي على حوارات الورثة معي وعلى المذكرات التي قالها عبدالحليم حافظ بنفسه في تسجيلات صوتية مع الصحافية والناقدة ايريس نظمي، وأعتقد أن هذا يكفي، وليس من المفروض أن أبحث عن كل من له علاقة مع عبدالحليم حافظ لأعرف رأيه في الموضوع، خاصة أن هناك أشخاصا جلسوا مع العندليب في حفلات عشاء ولم يكن لهم به علاقة فيما دون ذلك ومع هذا ألفوا كتبا عنه، وطالما انني جمعت المادة المطلوبة فهذا يكفيني.

مسلسل «الأمين والمأمون» يشارك في مهرجان القاهرة الـ12 للاذاعة والتليفزيون

عمان ـ «القدس العربي»:

يعول «المركز العربي للخدمات السمعية البصرية» في عمان على مسلسل «أبناء الرشيد: الأمين والمأمون»، الذي يشارك به في مهرجان القاهرة الثاني عشر للاذاعة والتليفزيون، لحصد الجائزة الأولى في مجال الأعمال التاريخية.

ويدخل المركز العربي المسابقة واثقاً من الانتاج الدرامي التاريخي الأضخم لهذا العام؛ «أبناء هارون الرشيد الأمين والمأمون» الذي كتبه غسان زكريا وغازي الذيبة، وأخرجه التونسي شوقي الماجري، وهو يعد من أبرز الأعمال التي حققت نسب مشاهدة عالية، ولما يملكه من امكانيات كانت الأضخم والأكبر هذا العام بين المسلسلات التاريخية التي عرضت في رمضان، حيث أن المسلسل صور في أربع بلدان (أوزبكستان، سورية، ولبنان، والأردن)، وتناول مرحلة من أدق مراحل التاريخ العربي الاسلامي، والتي تبدأ بخلافة الرشيد، ومأساة البرامكة، لتنتقل الى ولاة عهد الرشيد (الأمين والمأمون) وصراعهما على الخلافة العباسية؛ وعرض هذا الصراع بكل أبعاده السياسية والفكرية، مقدماً تحليلات واستنتاجات سياسية وفكرية، في قالب درامي مشوق يوظف السيرة الحياتية ويعيد رسم الوقائع التاريخية.

كما يبرز في المسلسل الخط الدرامي الذي يقدم قصة الحب الساحرة التي جمعت وزير الرشيد «أبو جعفر البرمكي» و«العباسة»، شقيقته الأثيرة، والشاعرة، والمرأة التي توصف بأجمل النساء، بما انطوت عليه من غموض، وما تثيره شخصيتها وسيرتها من فضول، وشارك فيه نخبة من الفنانين العرب.

وأثار «أبناء الرشيد: الأمين والمأمون» أثناء عرضه في رمضان؛ جدلاً واسعاً هذا العام، حيث شهد المسلسل اعتراضات من نحو خمسين شخصية، من السعودية وبريطانيا والباكستان والعراق وتركيا، ممن يعتدون بنسبهم للبيت العباسي، وعبّر هؤلاء في رسالة احتجاج وجهت الى الشركة المنتجة وللجهة المنتجة قناة الشرق الأوسط للاذاعة والتلفزيون MBC، والجهة المنتجة المنفذة (المركز العربي للخدمات السمعية البصرية ـ الأردن)، متهمين العمل بكونه يقدم أفكاراً مغلوطة عن عائلة هارون الرشيد، كما ينحون باللائمة على المسلسل لكونه لم يقدم «الأمين» ابن هارون الرشيد و«العباسة» شقيقة الرشيد بالشكل المقبول.

وكما أثار ضجة اعلامية حول امكانياته الضخمة، وحقق صدى اعلامياً لكونه المسلسل التاريخي الذي استطاع أن يكسر القالب التقليدي للدراما التاريخية، وكتب عنه العديد من كبار نقاد الدراما العربية في المغرب، ومصر، والأردن، وغيرها من الدول العربية.

كما أثار المسلسل خلافاً بين الآراء في الأوساط الشيعية ما بين موافق ومعارض على قيام المسلسل بتجسيد شخصية الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي يعتبر الامام الثامن في مذهب الامامية.

وتنطلق فعاليات المهرجان في التاسع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) الجاري، حيث يشارك في مسابقة المهرجان 430 عملاً من 16 دولة عربية.

كما يشارك المركز العربي للخدمات السمعية البصرية في الأردن بالاضافة الى الأمين والمأمون بثلاثة أعمال درامية أخرى هي: المسلسل الاجتماعي «الشمس تشرق من جديد» والمسلسل الكوميدي «شو هالحكي» ومسلسل الأطفال «مدرسة الأستاذ بهجت».

هذا وقد تعهد وزير الاعلام المصري أنس الفقي قبل انعقاد الدورة الثانية عشرة للمهرجان باستقلالية لجان التحكيم وتمثيل محكمين عرب.

تجدر الاشارة الى أن الفقي قد أصدر قراراً بتقليص عدد الجوائز واختصارها من أكثر من 150 جائزة بين ذهبية وفضية وبرونزية الى ست ذهبية وأخرى فضية في الأعمال الاذاعية و14 جائزة ذهبية وأخرى فضية للأعمال التليفزيونية مع تخصيص 18 جائزة للمبدعين العرب بشكل فردي نتيجة انتاجهم المتميز. ومن المقرر أن يستضيف المهرجان هذا العام لبنان ضيف شرف ويخصص له اقامة حفل فني لبناني الى جانب حفل الافتتاح وحفل الختام الذي سيشهد توزيع جوائز الفائزين يوم 23 تشرين الثاني (نوفمبر) الجاري.

لقطة من مسلسل «الأمين والمأمون» (القدس العربي)

فضائيات

الانكليزية ستنقل سقفها العالي لـ«الجزيرة» والسكوت عن «خان» من يورانيوم منضّب!

حسام الدين محمد*

■ «الجزيرة» التي انبثقت فجأة كأنها واحة في بحر من الموات الاعلامي العربي، كانت اختراعا فاجأ مؤسسيها انفسهم.

وتكشف التأثير الأشبه بالانفجار الذي خلقه جوّ الحرية الواسع في بريّة «السماد» العربية، عن مشروع استثماري هائل، فـ«الجزيرة» «راكمت» الملايين من المشاهدين، والحراك الكبير الذي فتحته لاقى ارضا خصبة بسبب اجواء القمع والحصار والتكتّم الاعلامية العربية، وخلق طبقة كاملة من المشاركين في هذا الأفق الجديد، من الاصلاحيين الى الليبراليين مرورا باليساريين والسلفيين. كل هؤلاء وجدوا منابر ما كانت دولهم تسمح بوجودها وتحوّلوا بالتالي الى جزء من هذا المشروع (بمن فيهم بعض «الليبراليين» الذين حبّروا بيانا يشبه طلبا ملحاحا من بوش بقصف «الجزيرة» لأنها تحولّت صوتا للأصولية!).

نجاح «الجزيرة» العربية أدى لاحقا لظهور «جزر» أخرى، لعلّ أهمها واكثرها أصالة وريادة برأيي قناة «الجزيرة للأطفال».

ظهور «الجزيرة الانكليزية»، القناة الناطقة بلغة السياسة والبزنس العالميين ربما كان اكثر المشاريع الاعلامية طموحا، وهو يداعب واحدا من أشد الاحلام العربية يأسا.

حلم طالما راود الشعوب ونخبها (... وبعض حكامها فكما فكر القذافي بالقنبلة النووية اياها طرح مرّة انشاء وكالة انباء عالمية بتمويل عربي تنافس وكالات الاخبار الغربية التي تحكم سيطرتها الاعلامية على العالم).

«الجزيرة الانكليزية» هي تفنيد غير مقصود لتلك الفكرة الطوباوية التي تعتقد ان المال وحده قادر على كسر الاحتكار العالمي للخبر، فظهور «الجزيرة الدولية» ما كان ممكنا لولا نجاح مشروع «الجزيرة» الأم وتحوّلها الى احدى أهم «الماركات» العالمية مثلها مثل غوغل وكوكاكولا ومرسيدس.

الأيام الأولى للقناة الجديدة تعرّضت لانتقادات ومدائح. الوسائل الاعلامية الغربية عابت عليها ايلاء اهمية لأخبار الأمم المستضعفة في افريقيا واسيا، محذّرة من ابتعاد المشاهد الغربي عنها، الأمر الذي وجدته وسائل اعلامية عربية قضية تستأهل التقدير لأنها تكشف الظلم الاعلامي الواقع على شرق العالم وجنوبه.

نطق «الجزيرة» بالانكليزية سيجعلها تتحرك على تخوم هذا العالم اللغوي الواسع: من النخب الناطقة بالانكليزية في العالم الى الأقليات المقيمة في الغرب (كما فعل برنامج «شاهد» witness الذي قدّمه راجح عمر عن ازدياد حالة الانفصال بين اقلية المسلمين البريطانيين والأكثرية على ضوء ما يقوم به السياسيون والاعلام البريطانيين من تأجيج لنزعة العداء ضد الاسلام والمسلمين).

في لقاء مع الرئيس اللبناني ظهيرة امس فوجئت مثلا بأنه يتكلم اللغة الانكليزية بشكل جيد. لكن الاكثر اهمية من ذلك ملاحظتي ان اللغة الانكليزية تستقدم معها تقاليدها الاعلامية (وأهمها كون الاعلام سلطة قادرة على محاسبة السلطات) فقد قام المذيع بمقاطعة الرئيس وردّه للموضوع الرئيسي اكثر من مرة ثم سأله بصراحة ان كانت معارضته لاقرار الحكومة للمحكمة الدولية لقتلة رفيق الحريري هي كونه متورطا هو شخصيا في هذه الجريمة، وهو أمر لا نستطيع توقعه من «الجزيرة» العربية، فهو مرتبط كما قلنا بلغة الاعلام العربي المحدودة رغم السقف العالي الذي فتحته «الجزيرة».

كما وظّف الامريكيون خبرات اعلامية عربية لتعزيز جبهتهم الاعلامية قامت «الجزيرة» بتوظيف خبرات غربية كبيرة لرفع طوابق جديدة على أساس النجاح الذي بنته، فنسبة كبيرة من نجوم «الجزيرة» الانكليزية قدموا من أهم المؤسسات الاعلامية الغربية مثل «سي ان ان» و«سكاي» و«بي بي سي» وعلى رأسهم المحاور العتيد السير روبرت فروست أحد اقطاب «البي بي سي».

ورغم العقبات التقنية العديدة (كما حصل امس مع انقطاع الصوت عن نور عودة ثم تقرير مراسل من افريقيا، وسلسلة التأجيلات في انطلاق القناة) فان فضاءات جديدة ستنفتح بوجه القناة الجديدة لأنها تقوم تخوض في مجال بكر وخصب وواسع، ومن المؤكد ان آمالها برفع السقف المهني والتقني (تخطط لادخال تقنية التعريف العالي High Difinition ضمن بثها) في العالم يقوم على أسس قوية، فـ«الجزيرة» الانكليزية هي سليلة التأسيس الكبير الذي قامت به «الجزيرة» العربية، لكنها كعادة الأبناء ستكون أكثر طزاجة وجرأة من «الجزيرة» الأم (خاصة بعد ان شهدت «الجزيرة» العربية ترهلاً واضحا).

ظهور «الجزيرة» الانكليزية قد يبدو تعبيرا عن «الجرح النرجسي العربي» من الاقتحام الغربي الهائل للحياة العربية لكنه ايضا نتيجة لنشوء وارتقاء طبيعي، ومساهمة في التوازن الاعلامي المختلّ لصالح الرؤية المركزية الغربية للعالم، وفي القلب منها الموضوعان الفلسطيني والعراقي.

فبعد المشاريع الامريكية والروسية والاسرائيلية لاقتحام الفضاء الناطق بالعربية، كان من الطبيعي جدا دخول العرب الى لغات هؤلاء انفسهم، بعد ان اثبتت «الجزيرة» امكانية منافسة الاعلام الغربي في عقر داره، بالصورة والخبر والمهنية الرفيعة.

العميلة 001!

■ «بانوراما» واحد من أهم البرامج السياسية البريطانية ولا تمرّ حلقة منه في العادة دون ان تثير الكثير من الجدل او تؤدي الى تفاعلات يمكنها احيانا ان تهزّ الحكومة (كما حصل في الحلقة التي اتهمت هذه الحكومة بأنها قدّمت طبعة مزوّقة عن تقرير المخابرات البريطانية حول وجود اسلحة للدمار الشامل في العراق، مما أدى لاحقا الى «انتحار» الخبير الذي سرّب المعلومات و«طيران» الرؤوس الكبيرة في «البي بي سي») او تثير اطرافا ومؤسسات بريطانية ودولية (كما في الحلقة التي كشفت ان بعض افراد اللجنة التي تقيم بانتقاء وتوظيف عارضات أزياء جديدات يستغلونهن جنسيا، والحلقة التي كشفت الفساد المعشش في «الفيفا» المسؤولة عن كرة القدم في العالم الخ...).

الحلقة الاخيرة من البرنامج تناولت موضوع انتشار السلاح النووي، والدور الذي قام به عبدالقادر خان، أبو القنبلة الذرية الباكستانية، في عرض وايصال المعلومات والتقنيات اللازمة الى دول «الشر» في العالم، والمقصود بذلك طبعا دول عربية مثل ليبيا والعراق ايام صدام حسين (يقول البرنامج ان الرئيس العراقي رفض عرض عبدالقادر خوفا من ردة فعل امريكا التي كانت تحاصر العراق بدعوى امتلاكه اسلحة دمار شامل) واسلامية مثل ايران وشيوعية مثل كوريا الشمالية.

خلاصة البرنامج تشير ـ بطريقة لا تخفي الحسرة والحزن ـ الى ان القنبلة النووية ما كانت لتصل الى باكستان لولا «تواطؤ» الدول الغربية، من هولندا، التي عمل فيها عبدالقادر خان، مرورا بامريكا والدول الاوروبية التي كانت صفقات الاجهزة تمرّ بموافقة اجهزة مخابراتها.

ويظهر في البرنامج شخصان زعم الأول ـ وهو مصوّر هولندي ـ انه شكّ بعبدالقادر خان بعد ان شاهد رسوم اجهزة التفاعل عندما زار الخبير الباكستاني في بيته، وانه نقل ذلك لأجهزة المخابرات الهولندية التي اقنعته انه اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من يورانيوم منضّب!

اما الثاني، وهو عضو في المخابرات الامريكية، فبدا لي كأنه أول مسؤول في «السي آي ايه» يظهر على الشاشة على شكل انسان طبيعي يصيبه الهمّ ويطاله الصدأ رغم انه كغيره من مسؤولي «السي آي اي» «سوبرمان» مشغول بانقاذ البشرية من الدمار. سبب الغمّ الذي أصاب الأخ ـ حسب شرح البرنامج ـ هو انه طالب بايقاف عمليات خان فكان ردّ فعل القيادة السياسية الامريكية عليه هو قطع رزقه وشرشحته لينتهي به الحال صيّادا للسمك!

البرنامج مرسوم بالأبيض والأسود وبطريقة تفترض مسبقا ان السلاح النووي لا يجب ان يصل الى الدول الاسلامية، وخصوصا الى ايران، دون تقديم اي اسباب لضرورة ذلك كأن الأمر من بديهيات الأمور.

كما انه يتجاهل أيّ اشارة للأسباب التي تجعل حكام دول مثل احمدي نجاد ومعمر القذافي وصدام حسين (وجمال مبارك!) يفكّرون بالطاقة النووية، وتفترض بشكل لا يشوبه التردد ابدا ان هذه الطاقة شيء محرّم على العرب والمسلمين.

كما ان البرنامج، وهنا نقطة ضعفه الأساسية التي حولّته الى قطعة في البروباغاندا الراقية، قام بعملية «شيطنة» demonizing لخان دون ان يحاول السماح له بالرد وتبيين وجهة نظره في ما فعل.

«الرأي الآخر» الوحيد الذي شاهدناه في البرنامج كان رأي مهندس الماني من جنوب افريقيا تعاون مع خان وساهم في صناعة الاجهزة والتقنيات اللازمة له.

دانيال غايغس الذي قال البرنامج انه يخضع حاليا للمحاكمة مع رئيسه غيرهارد فيسرّ وردا على سؤال معدّة البرنامج جين كوربين: «هل تستطيع ان تنام براحة بعد كل ما فعلت؟» قال: «ما الذي يسمح للولايات المتحدة ان تمتلك 1000 قنبلة نووية تنتظر ضغط زرّ لتنفجر، ويمنع ذلك على الآخرين؟».

معدّة البرنامج، التي قدّمها المخرج كأنها العميل 001 الذي سينقذنا من «الدكتور نو» الذي يخطط لتفجير العالم، وعلى طريقة افلام الرعب المسلسلة حذّرتنا من ان تصاميم الرؤوس النووية قد نُسخت ولا أحد يعرف اين هي.

وفي أطروحتها الهجومية التي تعيد قراءة الماضي من خلال آراء المحافظين الجدد الامريكيين بعد «غزوة نيويورك» (والتي حملت الاسم الفنّي الشهير: «الحرب على الارهاب») قدّمت مثالا جديدا على العمى السياسي الخطير على العالم اكثر بكثير من وصول السلاح النووي الى ايران.

* ناقد من أسرة «القدس العربي»
husam@alquds.co.uk

وارضيات